تقرير حول التطورات الاخيرة على جبهة النفط

رهف بدوي

كان من النتائج الهامة التي افرزتها حـــرب اوكتوبر ١٩٧٣ وضوح امرين هامين وضوحا قاطعا، وهما : اولا ، مدى اعتماد اسرائيل على الولايات المتحدة وارتهانها لارادتها حتى على المدى القصير، وثانيا ، مدى اتساع هامش المناورة الذي تملكه الانظمة البترولية العربية في تقريـر السياســات النفطية في وجه الشركات والدول المستهلكة التي كانت في السابق تحتكر لنفسها السيطرة على اتخاذ القرار بالنسبة لكافة الامور الهامة المتعلقـــة بالبترول . لقد بينت حرب اوكتوبر ان هـــامش المناورة هذا اوسع بكثير مما كان متوقعا كما قدمت الفرصة الذهبية المناسبة للانظمـــة المعنية كـــي تستفيد من هذا الهامش وتؤكد دورها ووجودها في صنع السياسات البترولية . وقد اخذ دور الانظمة البترولية يؤكد نفسه في تكوين النظام المـــالي والتجاري الذي تخضع له عمليـــات استخراج البترول واستهلاكه . وبطبيعة الحال لم يكن من المتوقع ان تقف الولايات المتحدة موقف المتفرج امام هذه التطورات التي أخذت تزيد مـــن الاستقلالية النسبية التي تتمتع بها الانظمة البترولية على هذا الصعيد . لذلك سيكون اول موضوع نتناوله في هذا التقرير هو الحملة الضخمة التـــي شنتهـــا الدول المستهلكة على كافة المستويات (الاعلامية ، والسياسية ،والاقتصادية ، الخ) بقيادة الولايات المتحدة على الدول المنتجة . وقد وصلت هـــذه الحملة الى ذروتها في التهديدات المتكررة التـــي اطلقتها ارفع المصادر الرسمية الامريكية ـــ الرئيس فورد وهنري كيسنجر وغيرهما من كبار المسؤولين ـــ باستخدام القوة العسكرية ضد الدول العربية المنتجة ان دعت الحاجة الى ذلك في يوم ما . ولن نعود في هذا التقرير الى تاريخ هذه التهديدات الذي أصبح معروفا على نطاق واسع بل سنرصد التطورات التي طرأت عليها في الاشـهر الاخيرة كما سنخضعها لشيء من التقييم والتحليل .

في تصريح ادلى به كيسنجر لمجلة «بيزنيس ويك» الامريكية الهامة (في عددها الصادر في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥) رفض ان يستبعد امكانية وقوع تدخل عسكري امريكي في الشرق الاوسط في حال حدوث تطورات في السياسات البترولية العربية قد تتسبب في « الاختناق الفعلي للعـــالم الصناعي » . كما رفض كافة الفرص التي اتيحت امامه فيما بعد للتخفيف من حدة هذا الكلام وثقل وقعه . ومعروف ان « حالة الاختناق » في القاموس الامريكي تعني قيام الدول العربية بخفض انتـــاج نفطها الى درجة كبيرة وفرض حظر على شحنـــه الى بعض الدول المستهلكة على اقـــل تعديل . وجدير بالاشارة هنا انه بعد يومين من صـــدور تصريح كيسنجر المشار اليه اصدر البيت الابيض بيانا خاصا أكد فيه ان كلام الوزير يعكس وجهات نظر رئيس الجمهورية » . وواضح ان تهديـــدات كيسنجر تعني ببساطة الاحتلال الامريكي لاجـــزاء كبيرة من العالم العربي . ومن المعلوم ان البنتاغون قد وضع عددا من الخطط البديلة للاستيلاء على حقول النفط العربية وخاصة في الخليج ، كما تعمد تسريب هذه الانباء كجزء من حملة الضغط الكبرى التي تقودها الولايات المتحدة ضد الدول المنتجـــة والعربية منها بالتحديد .

اذا اردنا تقديم تقييم موضوعي لجدية هـــذه التهديدات سيتبين لنا بسرعة ان أي تدخل امريكي عسكري في المناطق النفطية سيؤدي الى كارثة كبيرة تصيب اول ما تصيب الدول المستهلكـــة للنفـــط العربي . اي أن الدواء الامريكي سوف يدفـــع « بالعلة » التي جاء ليشفيها الى نقطة الانفجار . اذ انه من المعروف ان الاعداد لتفجير اي حقل نفطي لا يستغرق اكثر من حوالي ٢٤ ـــ ٤٨ ساعة بحيث يتوقف الحقل عن الانتاج لمدة سنة كاملة على الأقل . ويمكن تحقيق هذه النتيجة باستـــخدام متفجرات عادية ومتوفرة في كل مكان تقريبا . في الواقع اذا اعدت الدول العربية نفسها لمثل هـــذا الاحتمال وقامت بتدريب الكادر اللازم بصورة مسبقة بامكانها تفجير الحقول خلال مدة لا تتعدى الست ساعات فقط ، هذا بدون وضع المتفجرات منـــذ الان في الاماكن المطلوبة . وهذا يعني ان الولايات المتحدة لن تتمكن من انزال قواتها على اي من الاراضي العربية قبل تفجير الحقول ان شـــاءت